Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو من فراق صاحب عزيز كريم . ولا ثغت شاة إلاّ تشكياً من بُعد رضيعها عنها ، أو من حبسها عن المرعى والمنهل ، أو من انقطاعها عن صويحباتها في القطيع . ولا ناحت حمامة إلاّ كان نوحها شكوى من فراق أو شوقاً إلى تلاق .

والشكوى تكون صارخة أحياناً ، وأحياناً صامتة . فالتعب ، مثلاً ، هو الشكوى الصامتة ترفعها العضلات المكدودة إلى الجسد بأسره طالبة إليه الكفّ عن العمل . والحزن شكوى صامتة يبثّها القلب الحزين في كلّ ناحية لعلّ باعث الأحزان يريحه من أحزانه . وكذلك الصلاة صارخة كانت أم صامتة . فما هي ، حتى في أسمى معانيها ، غير شكوى العابد إلى معبوده من حال هو فيها ، وغير ابتغائه حالاً خيراً منها . وهكذا قل في الخوف والملل ، والغضب والبغض ، والحقد والجشع ، والنميمة وكلّ ضروب النقد وما إليها . فهذه كلّها شكاوى من أمور نتبرم بها ونرجو التخلّص إلى أفضل منها .

وفي اعتقادي أنّ الطبيعة التي لا تعمل أي عملٍ اعتباطاً وارتجالاً ما أباحت الشكوى لكلّ حيّ إلاّ لتحمله على السعي إلى الخلاص ممّا يشكوه . ولذلك تراها قد زودت الأحياء بشتى الحيل للتهرّب ممّا يحملهم على التشكي . فسلّحت الحيوان بالغريزة . وسلّحت الإنسان علاوة على الغريزة بالعقل